التنمية البشرية من منظور إسلامي

عبد الوهاب عبدالله حسين العطوان[1]

أشرف محمد زيدان[2]

محمد يوسف[3]

الملخّص

تتناول هذه الورقة البحثية التنمية البشرية من منظور إسلامي، وقد شرعتُ في البحث بتحديد مفهوم التنمية، وكيف تطور مدلوله في النظريات المعاصرة حتى ارتقى إلى التنمية البشرية ، ثم تناولتُ التنمية البشرية من منظور الإسلام ؛ مبيناً مفهومها، وأهميتها، وأسسها التي قامت عليها، وبعض مجالات تنمية الموارد البشرية في الإسلام ، مع التركيز على بيان علاقة التنمية البشرية في الإسلام بالنظريات التنموية المعاصرة، وتهدف هذه الدراسة إلى بيان أسبقية الإسلام في تأصيل مفهوم التنمية البشرية، وأهمية التنمية البشرية في تحقيق الاستخلاف الذي كُلف به الإنسان، وموقع الإنسان في التنمية البشرية ، وتسهم هذه الدراسة في بيان عظمة الإسلام ، وأنه دين صالح لكل زمان ومكان ، مصلح لكل ما تطرحه المجتمعات من مشكلات ومسائل ، "فليست تنزل في أحد من أهل دين الله نازلة إلا وفى كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها" ، والله الموفق، والهادي إلى سواء السبيل .

الكلمات المفتاحية: الاستخلاف ، التنمية البشرية، التصور الإسلامي، التعليم، المفهوم الغربي

[1] دكتوراة فى الفلسفة بأكاديمية الدراسات الإسلامية postgraduate.abdulwahab@gmail.com

[2] تطوير المؤسسات dr.ashraf@um.edu.my

[3] تنمية الموارد البشرية

Human Development from an Islamic Perspective

Abdulwahab A H Alatwan

Dr.Ashraf M .Zedan

Dr. Muhammed bin yusof

Abstract

This paper is concerned with human development from an Islamic perspective. I began the study with the definition of the concept of development, and how its significance developed in contemporary theories until it rose to human development. Then I dealt with human development from the perspective of Islam, illustrating its concept, importance, the foundations on which it is based, and some fields of Human resources development in Islam, focusing on identifying the relationship of human development in Islam with contemporary development theories. This study aims to demonstrate the primacy of Islam in establishing the concept of human development, the importance of human development in achieving the succession assigned to man, and the status of man in human development. This study contributes to demonstrating the greatness of Islam as a religion that is valid for every time and place solving all the problems and issues posed by societies, as “For any disaster befalls a human being , there is an effective solution to work it out in Allah’s book” [ ], and only Allah leads to prosperity and guides to the straight path..

Keywords: Succession, Human Development, Islamic Perspective, Education, Western Concept.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى آله وصحبه حملة هذا الدين ، صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين، أما بعد: فإن الله عز وجل رفع قدر الإنسان وجعله مكرماً عنده، واستخلفه في الأرض، وهيأه للقيام بمهمة الاستخلاف؛ بما تقتضيه من العبودية لله والقيام بشرعه، وعمارة الأرض عملاً وتطويراً وتنمية واستثماراً، ولن يستطيع الإنسان القيام بمهمة الاستخلاف كما ينبغي إلا إذا بذل الإنسان في العمل وسعه، وطور في سبيل ذلك قدراته وكوادره، ونمَّى نفسه ليستثمر ما سُخر له ويقوم بما أنيط به ، لذلك كانت التنمية البشرية في الإسلام شاملة عامة تشمل جميع حياة الإنسان، تقوم بالإنسان ومن أجل الإنسان، ولغاية رقى الإنسان، لتنظيم علاقة الإنسان بما حوله من المسخرات، للاستفادة منها أعلى درجات الإفادة ، بهدف إسعاد المجتمع واستمرار تقدمه وتطوره، وفق أسس شرعية لا تخرج عن دائرة العبودية، وقد تناولتُ هذه التنمية البشرية القادرة على إعداد المسلم العابد الصالح للاستخلاف تحت عنوان : (التنمية البشرية من منظور اسلامى) ، آملاً أن يتشرف البَنَانُ وهو يسجل سبق الإسلام في تقرير جميع معاني التنمية البشرية ، فإن بلغ البحث هدفه بالتوفيق، وبلغ حدود الكمال في التحقيق ؛ فهذا محض فضل من الله الولي الحميد الرشيد ، والحمد لله رب العالمين .

أهمية البحث:

يكتسب البحث أهميته من خلال ما يلي:

– بيان مفهوم التنمية البشرية وأهميتها ونشأة المصطلح الحديث.

– توضيح أهمية التنمية البشرية في الإسلام، ودورها في تحقيق الاستخلاف الذي كُلف به الإنسان.

– بيان الفروق بين فلسفة التنمية البشرية المعاصرة وحقيقة التنمية البشرية في منظور الإسلام.

– التأكيد على موقع الإنسان في التنمية البشرية الإسلامية من خلال بيان أسس ومجالات التنمية البشرية من منظور الإسلام.

– تزويد المكتبات الأكاديمية بدراسة بحثية عن سبق الإسلام في تأصيل مفهوم التنمية البشرية.

مشكلة البحث

مع ظهور المصطلحات الحديثة تتنوع مشارب الباحثين في التعامل مع هذه المصطلحات ، وليس ثمة مصطلح فرض نفسه على ساحة المؤتمرات المحلية والدولية مثل مصطلح التنمية البشرية وما يختص بها ، ومع حضوره القوي وظهوره المستمر تنوعت المشارب وتعددت الاتجاهات ، وذهب البعض إلى حداثة التنمية وأنه لا صلة لها إلا بالمجتمعات الغربية التي خرجت منها المصطلحات التنموية ، فكان لابد من بيان حقيقة التنمية البشرية من منظور إسلامي ، وإظهار إهتمام الإسلام بها، وغرسه أسسها ، وسبقه في ذلك كل مستحدث بعده ، وعموم التنمية في الإسلام عنها في غيرها .

أهداف البحث:

1) بيان مفهوم التنمية البشرية في ضوء النظريات المعاصرة.
2) معرفة مفهوم التنمية البشرية من منظور الإسلام.
3) تحديد العلاقة بين التصور الغربي المعاصر والمنظور الإسلامي في فهم التنمية البشرية.
4) إيضاح أهمية التنمية البشرية في منظور الإسلام.
5) إظهار أسس التنمية البشرية التي اعتمدت عليها من القرآن والسنة
6) تحديد مجالات التنمية البشرية في المنظور الإسلامي.

أسئلة البحث:

- ما مفهوم التنمية البشرية المعاصرة؟
- ما مفهوم التنمية البشرية في المنظور الإسلامي؟
- ما العلاقة بين التصور الغربي والمنظور الإسلامي في فهم التنمية البشرية؟
- ما هي أهمية موضوع التنيمية البشرية في منظور الإسلام؟
- ما هي أسس التنمية البشرية من القرآن والسنة؟
- ما هي أهم مجالات التنمية البشرية في المنظور الإسلامي؟

منهج البحث:

اعتمد الباحث في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وفيه يجمع الباحث ما تجلى له عن التنمية ولواحقها باستقراء ما أتيح من مصادرها ، ثم تحليل ذلك بما تتجلى به مباحث البحث ومطالبه.

الدراسات السابقة

ومن الدراسات العربية التي اهتمت (بالتنمية البشرية من منظور اسلامى) وبرامج التنمية البشرية ودورها في تحقيق النهضة التنموية للمجتمعات والشعوب :

دراسة عبدالباسط عبد المعطي (1990) بعنوان : تنمية المجتمعات الريفية والمحلية في الوطن العربي ، ع 63 ،مجلة شئون عربية ، ع63 ، مصر.

دراسة مصطفي العلواني (1995) بعنوان دراسة تنمية المجتمعات من منظورات مختلفة ، مجلة التربية، ع112. قطر .

دراسة عاشور كتوش (2008) .بعنوان التجربة الماليزية في مجال التنمية البشرية ومقومات نجاحها ، مركز الدراسات الاقليمية بجامعة الموصل . مج 4، ع10 .العراق .

دراسة فوزي محيرق (2012) بعنوان : إدارة وتثمير أموال الزكاة بماليزيا ومقومات نجاحها ،الملتقي العلمي الدولي الأول حول تثمير أموال الزكاة وطرق تفعيلها في العالم الإسلامي ،مخبر التنمية الاقتصادية والبشرية ،جامعة سعد دحلب ،البليدة . الجزائر .

دراسة فلاح ضويحي السويري (2014) بعنوان :مدي إسهام برامج التدريب الإداري في التنمية المهنية للعاملين في الإدارات بدولة الكويت .مجلة الثقافة والتنمية . ع81، مصر .

دراسة محمد عبد الشفيع عيسي (2014) بعنوان : إعادة النظر في التنمية البشرية ، مجلة بحوث اقتصادية وعربية ،مج22، ع70 .مصر.

دراسة علي أحمد درج (2015) بعنوان : التجربة الماليزية والدروس المستفادة منها عربيا ،دكتوراه ،جامعة الأنبا ،كلية الإدارة والاقتصاد ،مجلة جامعة بابل ، العلوم الصرفية والتطبيقية ، ع3،مج23 .

دراسة علي زيد الزعبي (2015) : بعنوان السياسات التنموية وتحديات الحراك السياسي في العالم العربي "حالة الكويت " ، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية ،ط1 ، الكويت .

دراسة مشبب بن غرامة حسن الاسمري (2015) بعنوان : دور برامج التنمية البشرية في توطين العمالة السعودية في خطوط الإنتاج "دراسة ميدانية لعينة من العاملين في خطوط الإنتاج بالمنشآت الصناعية بمدينة جدة ،حوليات ادآب عين شمس .مج 43 ،مصر.

هيكل البحث:

يتكون البحث من مبحثين، غير المقدمة والخاتمة.

المبحث الأول: مفهوم التنمية البشرية في ضوء المفهوم الغربي المعاصر والمنظور الإسلامي ، وفيه ثلاثة مطالب: **المطلب الأول**: مفهوم التنمية البشرية في التصو الغربي. والمطلب الثاني: مفهوم التنمية البشرية في المنظور الإسلامي. **والمطلب الثالث**: العلاقة بين التصور الغربي المعاصر والمنظور الإسلامي في مفهوم التنمية البشرية.

المبحث الثاني: التنمية البشرية من منظور إسلامي ، وفيه ثلاثة مطالب: المطلب الأول: أهمية التنمية البشرية في الإسلام. والمطلب الثاني: أسس التنمية البشرية من القرآن والسنة. والمطلب الثالث: مجالات التنمية البشرية في المنظور الإسلامي.

الخاتمة، وفيها: أهم النتائج، والمراجع

المبحث الأول: مفهوم التنمية البشرية في المفهوم الغربي والمنظور الإسلامي

المطلب الأول: مفهوم التنيمة البشرية في التصورالغربي

ظهر مفهوم التنمية البشرية كمفردة لها دلالتهاالمعرفية المتعلقة بالعنصر البشرى ومراحل تطور حياته ، وتطوير ذاته، كونه العنصر الأساس الذى تقوم به التجمعات البشرية في الدول المتقدمة ، وفي هذا المطلب يتناول الباحث ظهور مفهوم التنمية ، وبيان مفهوم مصطلح التنمية البشرية في ضوء النظريات المعاصرة .

نشأة مصطلح التنمية

ظهر مصطلح التنمية في أول استخدام له حينما اقترح يوجين ستيلي خطة لتنمية العالم سنة 1889 لأجل معالجة الأوضاع السياسية في تلك الفترة الزمنية .

ثم تردد مصطلح التنمية على لسان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية هاري ترومان في عام 1949 عندما أشار في خطاب تنصيبه أنه "يجب علينا البدء في برنامج جديد وجريء لجعل فوائد تقدمنا العلمي

والصناعي متاحا لتحسين ونمو المناطق المتخلفة. . . وما نتوخاه هو عبارة عن برنامج للتنمية يقوم على مفهوم التعامل العادل الديمقراطي" .

وفي عام 1954 في مؤتمر أشردج تم استعمال مصطلح تنمية المجتمعات المحلية للنمو الاجتماعي في بريطانيا بهدف معالجة مشكلات الإدارة في المستعمرات الانكليزية ، أي التوصل إلى أفضل السبل لحكم المستعمرات دون مقاومة واستغلال تلكالبلدان بصورة أفضل .

و لم يدخل مصطلح التنمية ساحة الأدبيات الدولية إلا عندما تبنت منظمة الأمم المتحدة الإستراتيجية الدولية التنمية وأعلنت عقد الستينيات من القرن العشرين كعقد للأمم المتحدة من أجل التنمية . وبذلك أصبح مصطلح التنمية من أهم مميزات العالم المعاصر , الأمر الذي دفع البعض إلى تسمية القرن العشرين بعصر التنمية . فما مفهوم التنمية، وكيف تطورت دلالة المصطلح لتصل إلى التنمية البشرية ؟ .

مفهوم مصطلح التنمية وتطوره

يعد مفهوم التنمية البشرية من المفاهيم الحديثة التي شاع استعمالها في العقود الأخيرة في المؤسسات العلمية والبحثية على اختلاف منابعها ومحاورها ، وقد مرَّ مصطلح التنمية بمراحل من التنمية في المفهوم حتى وصل إلى الدلالة على التنمية البشرية .

الاتجاه الاقتصادي في مفهوم التنمية

اتجه مصطلح التنمية في بداية ظهوره إلى الجانب الاقتصادي ؛ لزيادة دخل الفرد ، وتحسين عوائده الماليه ، كما جاء في تقارير ومنشورات البنك الدولي حول كيفية تحقيق التنمية الاقتصادية ومحاربة الفساد ، من خلال الربط بين الكفاءة الإدارية الحكومية والنمو الاقتصادي وذلك منذ عام 1989م لكن الجانب الاقتصادي وحده لا يلبي حاجات الإنسان ومطالبه الروحية والنفسية ، فضلاً عن حقوقه العقلية والفكرية ، أو بناء ذاته ، وتطوير مواهبه.

الاتجاه الشامل لمفهوم التنمية

نظراً لقصور التصور الاقتصادي لمفهوم التنمية في تلبية مطالب الإنسان ، ونظراً لسعي الإنسان لتحصيل إنسانيته ؛ "فقدخضع مفهوم التنمية لتغيرات جذرية وجوهرية خلال العقود الثلاثة الماضية وابتعد كثيراً عن الإطار الضيق الذي كان يحكمه نحو أطر أوسع ذات دلالات اقتصادية واجتماعية معاً" ، وبذلك حصلت نقلة كبيرة في المقاربة الكلاسيكية لمفهوم التنمية لتتسع وتشمل التنمية الاجتماعية التي لا تنفك بدورها عن التنمية السياسية ، وأصبحت التنمية ذات مفهوم واسع تشمل "العملية المجتمعية الواعية المتوجهة نحو إيجاد تحولات في البناء الاقتصادي والاجتماعي تكون قادرة على تنمية طاقة إنتاجية مدعمة

ذاتياً ، تؤدي إلى تحقيق زيادة منتظمة في متوسط الدخل الحقيقي للفرد على المدى المتطور وفي نفس الوقت تكون موجهة نحو تنمية علاقات اجتماعية سياسية. . . " .

اتجاه مصطلح التنمية إلى التنمية البشرية

بعد ظهور مصطلح الحكم الرشيد على الساحة الدولية أصبحت التنمية ذات منظور شمولي يقوم على علاقات متشابكة بين الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والمعرفية والحكامة السياسية ، ويجعل من الإنسان محور التنمية وهدفه ووسيلته، ويركز على تمتعه بحقوقه الكاملة. ، وبذلك انتقل مفهوم التنمية من انحصاره في الأبعاد الثلاثة" الاقتصادية ، الاجتماعية، السياسية" إلى التنمية البشرية ، التي تهدف إلى "بناء نظام اجتماعي عادل ، وإلى دفع القدرات البشرية عبر زيادة المشاركة الفاعلة والفعالة للمواطنين ، وتوسيع خيارات المواطنين والفرص المتاحة التي تتضمن الحرية بمعناها الواسع و اكتساب المعرفة وتمكين الإطار المؤسساتي" . انتقل مفهوم التنمية ليشمل جوانب حياة الإنسان ، بم في ذلك" الجوانب المعنوية مثل الحرية واكتساب المعرفة وحق التمتع بالجمال واحترام الكرامة الإنسانية والمشترك الإنساني" .

وفي عام 1990 اعتمد برنامج الأمم المتحدة الإنمائي التنمية البشرية، وخصص لها تقريراً سنوياً ، إبراز لمفهوم التنمية البشرية ، وأكدت مواثيق الأمم المتحدة وتقارير برامجها الإنمائية أنه لا تنمية بدون إنسان ، وقد عرفت بأنها" تنمية الناس من أجل الناس بواسطة الناس" ، وفي مؤتمر فيينا 1993 جاء التأكيد على أن التنمية كاستراتيجية تنطلق من "عملية شمولية متكاملة تتضمن جميع حقوق الإنسان وهي غير قابلة للتجزئة" .

فالتنمية البشرية استثمار غير مباشر بخطط محددة في الرأسمال البشري ، وما تنفقه الدول على العنصر البشري من تعليم وصحة ورعاية ورفاهية ؛ تجني ثماره إنتاجاً وحضارة وتقدماً في مستقبل قريب وعيش هني رغيد . وهذا سر الفارق الشاسع بين الدول المتقدمة وغيرها ، فاليابان وألمانيا والصين ، ليس عندهم من الموارد الطبيعية ما يجعلهم في مصاف الدول المتقدمة ؛ لكنَّ كل دولة منها اعتمدت تنمية مواردها البشرية، واستخراج مكنونات كوادرها ، وصفت نفسها بين الدول مصاف التقدم والحضارة والقيادة والصدارة ، ولم تجعل شعبها عبئاً عليها ، بل جعلته كادر تقدمها، وسهم استثمارها للحاضر والمستقبل .

ومن الجدير بالذكر أن الإنسان في التنمية هو الهدف والوسيلة في آن واحد فالتنمية تهدف إلى خير الإنسان في الوقت الذي ترتكز على جهده، فهو وسيلتها وهدفها في آن واحد ، لهذا تتطلب فكرة التنمية "تغيراً جذرياً في فكر الإنسان وقدراته وسلوكه ويعتبر هذا التغيير وسيلة إلى غاية وفي نفس الوقت غاية في حد ذاته في عملية التنمية" ، وهذا التغيير في الفكر والقدرة والسلوك يحتاج إلى خططٍ طويلة المدى، محددة الوسائل، معلومة الأهداف، عبر جميع القنوات الاجتماعية التي يتعامل معها الإنسان بصورة تلقائية، حتى

تحدث عملية التنمية بشكل طبيعي تلقائي متدرج؛ وإلا تكون التنمية مشوةً أو ناقصة، فيظهر الانفصام والسلبية واللامبالاة ، ولا تعطي التنمية ثمرتها المرجوة في تنمية الإنسان.

المطلب الثاني: مفهوم التنمية البشرية في المنظور الإسلامي

إن مفهوم التنمية البشرية في الإسلام يتبلور من ركيزتين أساسيتين وهما:

- **التكريم** : من رياضة ورعاية وتنمية لتظهر حكمة تفضيل الإنسان به. خلق الله تعالى الإنسان وكرمه بين سائر خلقه، قال تعالى□ ﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾[الإسراء:70] ، قال القرطبي "وَالصَّحِيحُ الَّذِي يُعَوَّلُ عَلَيْهِ أَنَّ التَّفْضِيلَ إِنَّمَا كَانَ بِالْعَقْلِ الَّذِي هُوَ عُمْدَةُ التَّكْلِيفِ" ، فالإنسان مكرم بين المخلوقات بما وهبه الله من العقل، الذي هو الأداة الفاعلة في الاستخلاف في الأرض. لهذا كان لابد للعقل
- **الاستخلاف** : جعل الله الإنسان خليفة في الأرض دون غيره من سائر المخلوقات، **قال تعالى**: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة:30] ، اختاره الله سبحانه وتعالى لمهمة الاستخلاف في الأرض؛ وهذا يحتم قيام العقل البشري بما يتطلبه دوره في خلافة الأرض من التنمية والتطوير والإبداع والإنتاج. وكل هذا يحتاج إلى المعرفة، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١﴾ [البقرة:31] ، ذكر الله تعليم آدم الأسماء بعد ذكر استخلافه في الأرض ، لأن الخلافة في الأرض تستوجب تنميتها وتطويرها ولا يكون ذلك إلا بالعلم والمعرفة. ومن التكريم بالعقل والاستخلاف في الأرض وتزويد الإنسان بلوازم ذلك من المعرفة والعلم يتضح المقصود من التنمية البشرية في الإسلام، فالتنمية البشرية في الإسلام هي عملية تطوير كوادر الإنسان بما يساعده في تحقيق ما يكفل تكريمه لإنسانيته المختارة ، وخلافة الأرض وعمارتها، ليتهيأ للقيام بأداء العبادة وأمانة الدين والدنيا، وبذلك فالإنسان في التنمية البشرية الإسلامية هو حلقة متصلة بين الوسائل والغايات، فكل ما يناله الإنسان من " الرفاهية، والصحة، وفرص العمل، والتعليم، والتدريب، والاستمتاع بأوقات الفراغ، والتقدم التقني وغيره؛ يهدف إلى تأهيل المسلم ورفع كفاءته، وتهيئة المناخ البيئي والاجتماعي الذي يساعده على أداء حقوق العبودية لرب العالمين، والقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض على الوجه الأكمل . وهذا التصور للتنمية التي نتطلع إليها لا يساعدنا على بلورة أهداف التنمية فحسب، وإنما يزيدنا بصيرة أيضاً في إقامة التوازن والانسجام بين الجوانب المختلفة للتنمية. . . كما يساعدنا في ترتيب

الأولويات في العملية التنموية وإدارتها بطريقة رشيدة، ومن ثم فإننا آنذاك لا نساعد على توفير الكماليات وفي الناس من يبحث عن الضروريات، ولا نتوسع في بناء الملاعب والحدائق، ولدينا نقص في المعاهد والمختبرات" .

إن التنمية البشرية في منظور الإسلام تعتمد على ثلاثة عناصر جوهرية لا تتحقق بدونها وهي:

الإنسان: صانع الحدث والمؤثر فيه، وهو محور التنمية والإعمارفي القرآن، حيث تجسد الأفعال نبضًا حيًا لسلوك الأفراد والشعوب في تفاعلهم مع محيطهم، لذلك كان لابد من تنشئة الإنسان تنشئة صحيحة سـليمة ،﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود:61]

- **والتنشئة تأتي بمعنى** : التربية والزيادة والإيجاد والتنمية، قال ابن منظور " نشأ ينشأ. . ربا وشب، وارتفع " .
- **التمكين** : كلف الله سبحانه وتعالى الإنسان بهذه المهمة العظيمة للقيام بدوره في الأرض، وهيأ له سبل القيام بهذه المهمة، ومكن له في الأرض بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأعراف:10]. والتمكين يعنى السيطرة والقدرة والتحكم. فالأرض هي البيئة الأساس لعمليات التنمية والإعمار عن طريق اتخاذ الانسان القرار والتحكم في مواردها .
- **البيئة** : هي الأرضية التي يتحقق عليها الفعل ويتأثر بشروطها ومواصفاتها. فلا يمكن أن تتم عملية إعمار إلا بإنسان قادر مسلح بالإيمان والعلم والفكر والمهارة التي تمكنه من القيام بها، لذلك يرتكز جوهر التنمية البشرية على تطوير وتنمية الإنسان بجميع مكوناته النفسية والعملية، وتنمية موارده الاقتصادية، ليعيش حياة طيبة كريمة، حيث قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:97]

المطلب الثالث: العلاقة بين التصور الغربي والمنظور الإسلامي في مفهوم التنمية البشرية

إن الناظر للوهلة الأولى يظن أن التنمية البشرية في الإسلام كالتنمية البشرية المتداولة في الأدبيات المعاصرة، وعذره في ذلك تشابه الألفاظ في مفهوم التنمية البشرية، ووسائلها، وربما أهدافها؛ مما جعل البعض يكتب عن أسلمة المصطلحات؛ وكأنه يحاول جاهداً إثبات وجود التنمية البشرية في الإسلام مخافة أن يُرمى الإسلام بنقيصة الضد، والحق أن الإسلام أساس التنمية ومصدرها الأول الأصيل، ومع ذلك

فالتنمية البشرية الأصيلة في الإسلام تختلف في نقاط فاصلة عنها في النظريات التنموية المعاصرة، ومن هذه النقاط ما يلي:

– **الإنسان**: يمثل الإنسان مركز التمحور في مفهوم التنمية البشرية المعاصرة ، وهو الهدف الأول والأخير لها ، لكنه ليس كذلك في عملية التنمية البشرية في الإسلام ، وإن كان يناله من معالم التنمية ومظاهرها ما يُغير في نمط حياته ، ويؤثر في سلوكه، ويلبي احتياجاته المتنوعة ، لأن هناك هدفاً أسمى تخدمه جميع الأهداف، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وإقامة دينه سبحانه على الأرض التي هي البيئة المباشرة للتنيمة ، وهذا يستلزم بالضرورة تنمية الإنسان والرقي به لحمل هذه الأمانة ، واستحقاق هذه المكانة، "والمتأمل في القرآن يجد موضوعه هو هداية الإنسان وإرشاده ، وتقويمه وإسعاده ، والأخذ بيده، وإقالة عثرته، ونفض اليأس والأسى عنه ، وتجنيبه الضياع والتهلكة، وبعث همته ليغذِ السير في الطريق إلى الله عز وجل" .

وسبب الاختلاف بين الإسلام وغيره في ذلك : النظرة إلى الإنسان، فالإنسان في الإسلام هو الخليفة المكلف والمؤهل بمواصفات حباه الله بها لإعمار الأرض ، بينما تقوم الفكرة المركزية في الحضارة الغربية وحكوماتها ونظرياتها التنموية المعاصرة على الإنسان المقطوع عن الله ، أو المتمرد على الله بديلاً من الفكرة المركزية في حضارة القرون الوسطى الأوروبية وفي حضارات الشرق الأقصى الإنسان الفاني في الله من خلال عبوديته للكنيسة ورجال الدين وانصرافه عن حياة الصراع والكدح، فكان الإسلام في ذلك وسطاً بين طرفي نقيض . فجعل تنمية الإنسان غاية يصل منها الإنسان إلى غاية أعظم ، من عبادة الله تعالى وعمارة الأرض.

- = **الخير**: تمثل فكرة الخير في النظريات التنموية المعاصرة أساس وهدف استراتيجي لها ، لكنَّ الخير فيها كلمة مفردة محدودة الزمان والمكان ، أما الخير المرجو من التنمية البشرية في الإسلام فهو خير لا يعرف حدود الزمان والمكان ، هو خير مطلق يتعدى حدود الدنيا ليصل إلى الآخرة، يشمل جميع الناس ، فالإسلام يتحدث عن الأمة الإسلامية النشطة البناءة المسئولة الفعالة في التاريخ والتي هي بحق خير أمة أخرجت للناس في سعيها وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر . قال الله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران:110]

– **الوسائل** : يرى كثير من الباحثين أن وسائل التنمية البشرية واحدة في الإسلام وفي غيره، والحقيقة أنها تختلف جوهراً ومضمونا، فوسائل التنمية البشرية المعاصرة لا تعرف حلالاً أو حراماً ، وجعلوا مجال الحرية بلا قيد ليكون للإنسان الحق في اختيار نمط حياته ، وتغيرات سلوكه، ولم يجعلوا له من الضوابط ما

يحفظ به نفسه من طغيان نفسه عليه ، أما الإسلام فقد حدد لنا مجال الحريات بما يكفي لتنمية الإنسان وتخلصه من طغيان غيره أو نفسه عليه .

المبحث الثاني: التنمية البشرية من منظور إسلامي

تعد التنمية البشرية في ظل الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية والسير على منهاج الهداية الإلهية هدفًا أساسيًا في الوجود، والالتزام بدين الله الحق– الإسلام– يثرى مسيرة التنمية البشرية، ويقدم نموذجاً صالحاً للاستخلاف في الأرض، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء:105] ، الذين صلحت علاقتهم بالله رب العالمين، كما صلحوا لتنمية الأرض وعمارتها، أما الفساد في مجموع صوره ومختلف أشكاله– دينياً كان أو دنيوياً– فإنه يعطل مسيرة التنمية البشرية ويحول دونها، قال تعالى ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة:205]، وفي هذا المبحث يتناول الباحث أهمية التنمية البشرية وأسسها الشرعية، ومجالاتها منظور إسلامي، في ثلاثة مطالب كما يلي:

المطلب الأول: أهمية التنمية البشرية في الإسلام

- **نشاة التنمية البشرية مع بداية الوجود البشري**

خلق الله الإنسان وكرمه واستخلفه في الأرض وأعطاه لوازم ذلك من العقل والجوارح التي هي منافذ العقل على المعرفة، وأداة العقل في تنفيذ خلاصة عملياته الفكرية، قال تعالى ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد:8-9-10]( ) ، فكل ما يراه الإنسان ويسمعه ويلاحظه ويشمه ويختبره ينتقل إلى العقل الذي يزنه ويميزه ، فتنشأ عمليات التعقل والتذكر والتفكر والتدبر في الكون من حوله ، لينال نتيجة جهده وكدحه بقدر ما ينفق من رصيد العلم والمعرفة ، الذي جمعه من النظر والتدبر في ملكوت السماوات والأرض ، وما أودع الخالق سبحانه في مستكنات الأسرار في هذا الوجود ، وهكذا يتحقق إعمار الأرض وتنمية الإنسان وإبداع الحضارة . بعد هذا الإعداد بالعقل والجوارح والمعرفة جاء الأمر الإلهي لآدم عليه السلام وزوجه بالهبوط إلى الأرض لبداية رحلة الاستخلاف ، ومنذ هبط آدم إلى الأرض وهو يسعى إلى تحقيق التنمية ، وقد غير آدم الأرض فأخرج المخبوء من أسرارها ، وسخرها لخدمته ، فعمر جديبها، وأحيا مواتها ، واستأنس مستوحشها ، وألان حديدها ، حتى أقام تلك المدنيات وهذه

الحضارات ، فركب البحار وسبح في الفضاء ، ووصل إلى الكواكب والأقمار ، حتى وضع أخيراً قدميه على القمر.

ولا حرج في الإسلام من بلوغ الإنسان شأواً بعيدا في مجال التنمية طالما يتقي الله ويعمل لمرضاته ، وفي تلك الحدود الربانية لا قيود على حريته في البحث والعلم والتنمية ، بل إنه مطالب بذلك ، ومكلف بإعمار الأرض وتحسين أحوال معيشته ، والحصول على طيبات الرزق، والعمل المتواصل من أجل رقيه وسعادته ، ومن أجل تنمية قدرته على مواكبة الخطوات المتلاحقة للعالم من حوله ، وفي إطار بيان أهمية التنمية البشرية في الإسلام؛ يذكر الباحث ما يلي:

أ: الألفاظ ذات الصلة بمفهوم التنمية البشرية من الكتاب والسنة

لم يأت لفظ التنمية صريحاً في النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، إنما وردت ألفاظ تؤكد بمعناها وتؤصل بمجملها وجود مفهوم التنمية بين نصوص وأدلة الشريعة ، ومن خلال استقرائنا لبعض ما قدم من منشورات ولوائح في التنمية وجدنا أنها تدل على معانى "كالتدريب والتحفيز، زيادة القدرة، والمشاركة، التنظيم، و التطوير" ، وغيرها، لذا سنسلط الضوء في هذا الموضع على ما ورد من ألفاظ شرعية تحمل هذه المعاني التنموية ، لتأكيد أسبقية الدين الإسلامي وإحاطته وشموله تلك "المعاني التي اهتمت بالعنصر البشرى وكيفية تطويره وبنائه بالطرق السليمة من أجل خدمة البشرية جمعاء" .

- **التزكية: تأت التزكية على ثلاثة معانٍ:**

التطهير: تقول : زكى الأرض تزكية ، أي طهرها من النجاسة وغيرها.

التنمية: أي النماء والزيادة، تقول: زكى المال أو الولد تعنى نماه وزاده.

الإصلاح: تقول: زكى الشيء، تعنى أصلحه .

وقد جاء لفظ التزكية في القرآن والسنة دالاً على هذه المعاني الثلاثة ؛ بما تحمل من دلالة تنموية ، منها:

قول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾﴾ [الشمس:9] ، أي طهرها ونقاها من الكفر وفعل المعاصي وذلك بعمل الصالحات، وقوله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة:103]، قال الفخر الرازي: وَاعْلَمْ أَنَّ التَّزْكِيَةَ لَمَّا كَانَتْ مَعْطُوفَةً عَلَى التَّطْهِيرِ وَجَبَ حُصُولُ الْمُغَايَرَةِ، فَقِيلَ: التَّزْكِيَةُ مُبَالَغَةٌ فِي التَّطْهِيرِ، وَقِيلَ: التَّزْكِيَةُ بِمَعْنَى الْإِنْمَاء ، وفي السنة النبوية ما جاء عن النبي (صلى الله عليه وسلم) من حديث زينب : وكان اسمها برة فغيره (صلى الله عليه وسلم) وقال" تزكى نفسها" أي تصلحها وتنقيها وتطهرها فالتزكية شاملة لكل هذه المعاني هنا . وكان رسول الله

صلى الله علية وسلم يقول في دعائه" اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها. . . " ولا شك أن الدلالات الشرعية للتزكية الواردة في الآيات والأحاديث من النماء والزيادة والإصلاح والتنقية والتطهيرهي ما تسعى إليه التنمية البشرية المعاصرة.

- **الإعمار**: قال الله تعالى:﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود:61] ، ومعناه طلب العمارة ، والطلب المطلق من الله تعالى يدل على الوجوب ، فيجب على الإنسان عمارة الأرض واستغلالها مواردها، ومما لا يختلف فيه اثنان أن عمارة الأرض والبناء والازدهار لا يكون إلا بواسطة الإنسان ، ولن يصل الإنسان لذلك إلا إذا كان قويًا قادرًا، مسلحًا بالإيمان ، مهيئاً بالعلم والفكر والمهارة التامة التي تمكنه من القيام بعملية الاعمار والبناء، وهذا المعنى هو لب التنمية البشرية بمفهومها الحديث ، حيث تقوم على تطويرعنصر الإنسان بجميع مكوناته النفسية والعملية ، وتطوير كفاءته العلمية والعقلية.
- التنشئة : ومن معانى التنشئة التربية والزيادة والإيجاد والتنمية والتنشئة من نشأ أى : ربا وشب وأرتفع ، وهذه المعانى تدخل فى صلب مضمون التنمية بمنظورها الحديث ومن الأدلة التى تشير إلى هذا اللفظ وما احتواه من معانى ، حيث قال تعالى ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود:61] . وقوله تعالى ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المؤمنون:19]

ففى الآية الأولى جاءت التنشئة بمعنى الايجاد عن طريق الخلق ، وفى الدليل الثانى جاءت الاشارة إلى نفس المعنى، هذا ما وقفنا عليه من ألفاظ تشترك مع مفهوم التنمية من حيث دلالتها على نفس المعانى التى دلت عليه التنمية بمفهومها الحديث.

- **ب: مظاهر تطبيقية على التنمية البشرية في السنة النبوية**

يدرك المتأمل في سُنَّة المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي سيرته العطرة المباركة أنَّها حافلة بكلِّ ما مِن شأنه الارتقاء بالإنسان والمجتمع البشريّ ، والعناية به روحيًّا وفكريًّا ، وعقليًّا وبدنيًّا؛ مما يعنى أنَّ نصوص السنة النبويَّة تهتمُّ بالتنمية الشاملة للإنسان ؛ وبذلك سَبَقَت السنة النبوية النظرياتِ الحديثةَ كافَّةً في مجال التنمية البشريَّة ؛ لعنايتها الخاصَّة بالاستثمار في العنصر البشريّ ، وتطوير قدراته في مختلف الجوانب، والنهوض بالمجتمع ؛ ليصل إلى أعلى درجات الكمال والرُّقِيّ ، والازدهار والتنمية ، ويعرض الباحث بين يدي القارئ نماذج تطبيقية من السنة النبوية في التنمية البشرية:

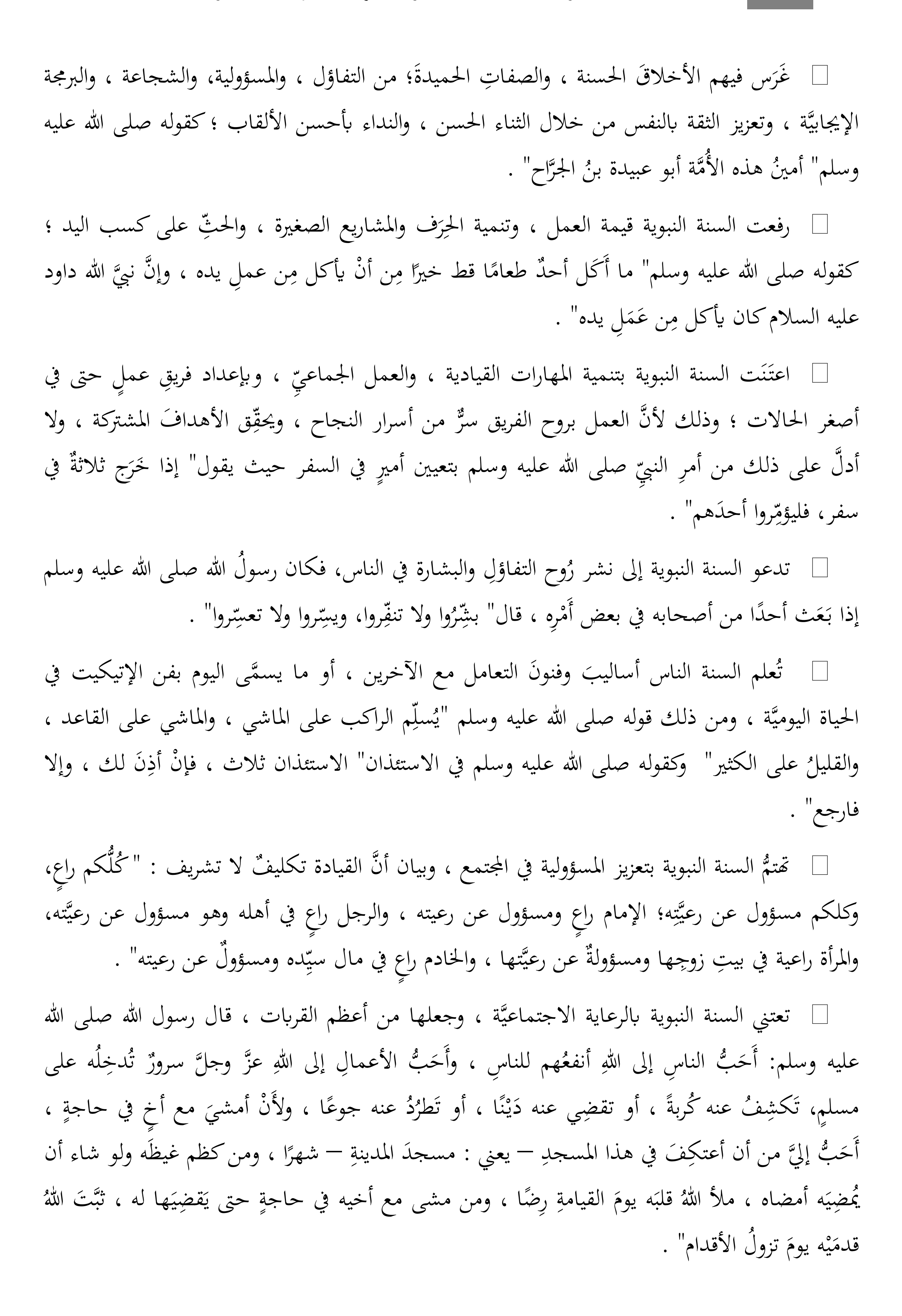
 اعتَنَت السنةُ النبوية بأهل الكفاءات والمتميِّزين في مختلف المجالات ؛ ومن ذلك : ثناؤه صلى الله عليه وسلم على الصحابيّ الجليل أُبيّ بنِ كعبٍ بقوله" واللهِ لِيَهْنِكَ العلمُ أبا المنذر" ، أي : ليكن العلمُ

هنيئًا لك يا أبا المنذر ، وذلك بعد إجابته عن سؤال النبيّ صلى الله عليه وسلم أن أعظم آيةٍ في كتاب الله هي : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة:255] [صحيح مسلم: 81.

وكذلك كان ثناء النبي صلى الله عليه وسلم على خالد بن الوليد دافعاً له إلى الإسلام ، قال خالد بن الوليد" وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم في عمرة القضية ، فطلبني فلم يجدني فكتب إلي كتابا فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك ! ومثل الإسلام جهله أحد ؟ وقد سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك وقال أين خالد ؟ فقلت يأتى الله به ، فقال «مثله جهل الإسلام ؟ ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين كان خيرا له ، ولقدمناه على غيره» فاستدرك يا أخي ما قد فاتك [من] مواطن صالحة. قال فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام وسربي سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عني" .

 استخدم النبيُّ صلى الله عليه وسلم أساليبَ العصف الذهنيّ والتفكير الإبداعي ، في التعامل مع الصحابة رضي الله عنهم ؛ لما لذلك من مردود تنموي في التشويق والتحفيز ، ومخاطبة العقول والقلوب ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه عبدالله بن عمر : بينا نحن عند النبيِّ صلى الله عليه وسلم جلوس ، إذ أُتِيَ بِجُمَّارِ نَخْلَةٍ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم)) : إنَّ مِن الشجر لَمَا بَرَكَته كبرَكة المسلم ((فَظَنَنْت أنَّه يعني النخلةَ ، فأردت أن أقول: هي النخلة يا رسول الله ، ثم التَفَتُّ فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدَثُهم ، فسَكَتُّ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "هي النخلة" ومثله قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه عندما سَأَلَه : مَن أَسْعَد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : " لقد ظَنَنْتُ – يا أبا هريرة – ألا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أولُ منك ؛ لِمَا رأيت مِن حرصك على الحديث، أسعدُ الناسِ بشفاعتي يوم القيامة مَن قال : لا إله إلا الله ، خالصًا مِن قلبه ، أو نَفْسه" .

 علَّم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه مهاراتِ الاتصال والتواصل ، وتحديد الأولويَّات ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل عندما أرسله إلى اليمن ليدعو أهل الكتاب للإسلام" إنك تأتي قومًا مِن أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإنْ هُم أطاعوا لذلك فأَعْلِمْهم أنَّ الله افترض عليهم خمسَ صلوات في كلِّ يوم وليلة ، فإنْ هم أطاعوا لذلك فأَعلِمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقةً تُؤخَذ من أغنيائهم فتردُّ في فقرائهم..." ، وفي هذا تنمية الإنسان في خلقه ، وترقية له في فكره ؛ مما يسهل له أن يحدِّد الأولويات ويضع خارطة الطريق.



- غَرَس فيهم الأخلاقَ الحسنة ، والصفاتِ الحميدةَ؛ من التفاؤل ، والمسؤولية، والشجاعة ، والبرمجة الإيجابيَّة ، وتعزيزِ الثقة بالنفس من خلال الثناء الحسن ، والنداء بأحسن الألقاب ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم" أمينُ هذه الأُمَّة أبو عبيدة بنُ الجرَّاح" .

- رفعت السنة النبوية قيمة العمل ، وتنمية الحِرَف والمشاريع الصغيرة ، والحثِّ على كسب اليد ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم" ما أَكَل أحدٌ طعامًا قط خيرًا مِن أنْ يأكل مِن عملِ يده ، وإنَّ نبيَّ الله داود عليه السلام كان يأكل مِن عَمَلِ يده" .

- اعتَنَت السنة النبوية بتنمية المهارات القيادية ، والعمل الجماعيِّ ، وبإعداد فريقِ عملٍ حتى في أصغر الحالات ؛ وذلك لأنَّ العمل بروح الفريق سرٌّ من أسرار النجاح ، ويحقِّق الأهدافَ المشتركة ، ولا أدلَّ على ذلك من أمرِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بتعيين أميرٍ في السفر حيث يقول" إذا خَرَج ثلاثةٌ في سفر، فليؤمِّروا أحدَهم" .

- تدعو السنة النبوية إلى نشر رُوح التفاؤلِ والبشارة في الناس، فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا بَعَث أحدًا من أصحابه في بعض أَمْرِه ، قال" بشِّرُوا ولا تنفِّروا، ويسِّروا ولا تعسِّروا" .

- تُعلم السنة الناس أساليبَ وفنونَ التعامل مع الآخرين ، أو ما يسمَّى اليوم بفن الإتيكيت في الحياة اليوميَّة ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "يُسلِّم الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد ، والقليلُ على الكثير" وكقوله صلى الله عليه وسلم في الاستئذان" الاستئذان ثلاث ، فإنْ أذِنَ لك ، وإلا فارجع" .

- تهتمُّ السنة النبوية بتعزيز المسؤولية في المجتمع ، وبيان أنَّ القيادة تكليفٌ لا تشريف : " كُلُّكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيَّتِه؛ الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته ، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيَّته، والمرأة راعية في بيتِ زوجِها ومسؤولةٌ عن رعيَّتها ، والخادم راعٍ في مال سيِّده ومسؤولٌ عن رعيته" .

- تعتني السنة النبوية بالرعاية الاجتماعيَّة ، وجعلها من أعظم القربات ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَحَبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفعُهم للناسِ ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سرورٌ تُدخِلُه على مسلمٍ، تَكشِفُ عنه كُربةً ، أو تقضِي عنه دَيْنًا ، أو تَطرُدُ عنه جوعًا ، ولأَنْ أمشيَ مع أخٍ في حاجةٍ ، أَحَبُّ إليَّ من أن أعتكِفَ في هذا المسجدِ – يعني : مسجدَ المدينةِ – شهرًا ، ومن كظم غيظَه ولو شاء أن يُمضِيَه أمضاه ، ملأ اللهُ قلبَه يومَ القيامةِ رِضًا ، ومن مشى مع أخيه في حاجةٍ حتى يَقضِيَها له ، ثبَّتَ اللهُ قدمَيْه يومَ تزولُ الأقدام" .

 وتحرص السنةُ النبوية على استغلال الموارد الطبيعيَّة ، ونماءِ المال واستثماره ، وتعزيزِ قدرات الفرد في المجتمع ، والعناية بتَرْكِ الانطباع الإيجابيّ لدى الآخرين" لا تَحْقِرنَّ من المعروف شيئًا ، ولو أنْ تَلْقَى أخاك بوجه طلق" .

المطلب الثاني: أسس التنمية البشرية من القرآن والسنة

تقوم التنمية البشرية في المنظور الإسلامي على أسس ثابتة من الكتاب والسنة، تضم في ثناياها المعاني التنموية بمتخلف دلالاتها ، وتتأكد الإشارة إلى أن هذه الأسس تم اعتمادها واستنباطها من خلال الاستقراء الدقيق للأمثلة والبراهين الكثيرة التي ضمتها مصنفات السنة الطاهرة الدالة على تنمية الموارد البشرية أو أحد أركانها التي قامت عليها ، دليلاً على أسبقية السنة الطاهرة بعد القرآن بالاهتمام بالعنصر البشرى . من حيث العناية به وتطوير جميع مكوناته وجوانب حياته لأجل خدمة المجتمع ورقيه وتطوره على اختلاف جوانبه ومسالكه من خلال التدريب والتحفيز وتوفير البيئة السليمة والحث على الإبداع والإنتاج وتقديم ما هو أفضل لكل فرد من أفراده، ومن هذه الأسس ما يلي :

1. **الاستخلاف** : اختار الله سبحانه وتعالى الإنسان ليقوم بمهمة الاستخلاف في الأرض انطلاقا من قوله تعالى﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة:30] وقد كلف اللهُ الإنسانَ بهذه المهمة العظيمة للقيام بدوره في الأرض وهيأ له سبل القيام بهذه المهمة ومكن له في الأرض بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ١٠﴾ [الأعراف:10] . قال الإمام الرازي: «أي جعلنا لكم فيها مكانا وقراراً ومكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم معايش» .

وهذا الاستخلاف يوجب قيام الإنسان بدوره كما أمره الله سبحانه وتعالى من خلال تنمية مكونات الإنسان الإيمانية والنفسية والعملية، وهي السمة الأساسية للتنمية البشرية.

- **التسخير** : الاستخلاف الذي كلف به الإنسان يقتضي التسخير، لأن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بمهمته في الأرض دون أن تسخر لهالإمكانات ، وقد أعطا اللهُالإنسانَ ذلك، وسخر له عامة المخلوقات والكائنات في الأرض، قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ٢٠﴾ [لقمان:20]
وقال تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ [المُلك:15]

والتسخير يستلزم من الإنسان حسن التعامل مع المسخرات ، وفقا للأحكام التي شرعها الله في التعامل مع المخلوقات والكائنات الطبيعة ، ويقتضي إعداد الإنسان إعداداً جيداً بتنمية مهاراته وقدراته وتصوراته للتعامل مع ما سخر الله له حتى يستطيع أن يقوم بذلك على الوجه الذي أمرالله سبحانه وتعالى به .

فإذا انحرف الإنسان عن الالتزام بما يوجبه التسخير من مراعاة الشريعة والتنمية البشرية ، جنى عاقبة فعله ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم:41] . فتختل الموازين ، وتنتشر ظواهر تهدد حياة الإنسان ذاته ، كالاحتباس الحراري والتغير البيئي ، وتظهر أمراض في الحيوانات والطيور.

وإذا قصَّرالإنسان في تنمية ذاته وتطوير قدراته عجز عن ملاحقة النمو ومواكبة التطور ، وتخلف في ركب الحضارة .

– **المعرفة** : أعطى الله الإنسان المعرفة اللازمة للقيام بواجب الاستخلاف عند تكليفه بهذه المهمة، قال تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [البقرة:31] ، وجعل العلم مدخلاً لمعرفة الله سبحانه وتعالى فقال سبحانه ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:19]، وأعظم الإسلام مثوبة العالم قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة:11]، وهذا الاهتمام بالعلم النافع ليتأهل المسلم لأداء دوره نحو ربه بإخلاص العبودية وتأدية الواجبات المفروضة، وكذلك بتعمير الحياة، ونفع الناس ، فإذا أراد المسلم أن يقوم برسالته في الحياة فلابد له من علم ومعرفة مستمرة ودائمة يتابع خلالها ما استجد من العلوم والمعارف والحاجات، وذلك لا يأتي إلا من خلال تنمية مهاراته وقدراته.

– **التخطيط**: تنمية الموارد البشرية تقوم على التخطيط وحسن التدبير ، وذلك يقتضي دراسة الواقع الذي يعيشه الفرد والمجتمعات وتحليله بايجابياته وسلبياته ، ووضع الحلول لمعالجة المشكلات ودراسة التوقعات المستقبلية بالمقاييس العلمية واقتراح الرؤى لذلك ، والإعداد الجيد للبرامج والخطط المستقبلية، وقد علمنا القرآن الكريم أهمية التخطيط في قصة يوسف عليه السلام قال الله تعالى قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلا قَلِيلا مِمَّا تَأْكُلُونَ (يوسف 47) كما حث النبي (صلى الله عليه وسلم) على أهمية التخطيط المستقبلي حيث قال : «(إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس" ، وإذا كان التخطيط لمستقبل الورثة وهم أفراد محدودون مأمور به ، فإن التخطيط لمستقبل المجتمعات والشعوب والدول أهم وأكثر حاجة .

والتخطيط يشمل جميع جوانب الحياة بما في ذلك حالة الحرب التي تستوجب الإعداد المستمر، والتخطيط الدائم، لما يكون فيها من عنصر المفاجأة، ولتأثر جميع جوانب الحياة بها، لذلك جاء النص عليها في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال:60]

(الأنفال،60)، ودلالة الآية عامة في وجوب الاستعداد والتخطيط – وإن كان ظاهر لفظها الخصوص– حتى يتمكن الإنسان من تنمية نفسه بما يكون به قادراً على حياة تليق به كريماً ، مستخلفاً في الأرض .

5- **المسؤولية** : تشكل المسؤولية إحدى الأسس التي تقوم عليها تنمية الموارد البشرية ، وإذا كانت مسؤولية الفرد تتطلب منه أن يطور مهاراته ويجدد علمه فإن مسؤولية الدولة تدعوها أن تولي الموارد البشرية أهمية خاصة بحيث توفر لهم سبل التنمية والتطوير والإبداع، فعلى المستوى الفردي تؤكد الآيات الكريمة أهمية المسؤولية الفردية، قال تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم:39]. .

وحذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من الغفلة عن المسؤولية الفردية فقال صلى الله عليه وسلم "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل : عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه» .

أما على مستوى المسؤولية العامة أو مسؤولية الدولة فقد قال صلى الله عليه وسلم" ما من عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته ، إلا حرم الله عليه الجنة" ، وهذا الحديث يشمل الجميع ويدخل فيه الحكام والولاة للولايات العامة من باب أولى ، ولا يكتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الإجمال بل يفصل لنا في الحديث الآخربما لا يدع مجالاً لمسئول أن يخون الله ورسوله في رعيته ومسئوليته فقال صلى الله عليه وسلم" كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤوله عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته" ، من هذه الأصول الشرعية وغيرها يتبين أن المسؤولية من الأسس التي تقوم عليها التنمية في الإسلام ، وأنها التي تولد المشاركة الإيجابية بكل أشكالها ، وهي الدافع القوي للتنمية المستديمة ، لأنها تشمل مسؤولية الجميع أمام الله تعالى ، وكذلك مسؤولية الحاكم والمحكوم أمام بعضهما لتكامل البناء وتتابع العطاء ، وعلاج الخلل فكلٌ له حقوق وعليه واجبات.

6- **العمل**: هو المحور الذي تدور عليه عملية تنمية الموارد البشرية ، إذ أن الإنسان الذي يؤدي العمل يحتاج إلى كفاءة مهنية وعقلية تربوية تؤهله للقيام بدوره في المهام والوظائف العملية ، ولذا اهتم الإسلام

بالعمل وحث عليه سواء كان عملا تعبديا أو مهنيا ورفع من قيمة العمل ، فقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف:30]وقال تعالى ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [التوبة:105]

وحث النبي (صلى الله عليه وسلم) على العمل فقال : «ما كسب الرجل كسبا أطيب من عمل يده، وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة» .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : «إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» .

ولا شك أن الإنسان الذي يجب عليه أن يؤدي عمله ويتقنه ؛ لابد له من مهارة وإعداد وهذا جوهر تنميه الموارد البشرية ومرادها.

7- **التغيير**: تنمية الموارد البشرية تسعى لتغيير إمكانات الإنسان ومهاراته نحو الأفضل فهي تهيئ له فرصة التدريب والتوجيه والسعي نحو اكتساب كل جديد في حياته، ما أمكنه ذلك.

والتغيير سنة الحياة، لكن التغيير المقصود هو الذي يعود بالنفع والصلاح على الإنسان ، فليس التغيير مطلوبا لذاته ، وإنما هو مطلوب لغاية إيجابية يعمل من أجلها ، قال الله تعالى ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد:11]وقال تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال،53).

2. **الأمانة** : هي الضابط لأي سلوك إنساني ، وليست الأمانة حفظ الحقوق والأموال فقط ، بل الأمانة في كل شيء ، ومن أعظمها أمانة الدين ثم أمانة العمل ، لهذا أولى الإسلام الأمانة أهمية كبرى ، قال سبحانه وتعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المؤمنون:8] ، وكلما تعلقت الأمانة بأمر عام زاد خطر الأمانة ، وعظم شأنها، قال رسول صلى الله عليه وسلم " يا أبا ذر إنك ضعيف ، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها" ، وحذر النبي صلى الله عليه وسلم من تضييع الأمانة فقال «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قالوا : كيف إضاعتها يا رسول الله ؟ قال إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» .

إن ما تعانيه كثير من المؤسسات العالمية والمحلية من فساد وخلل وانهيار يعود في كثير منه إلى فقد الأمانة، أو ما يطلق عليه غياب أخلاقيات المهنة ، إذ بفقد ذلك تنهار قيم العمل وضوابطه، وتشيع قيم

أخرى هي للفساد أقرب منها للصلاح . فإذا ما أرادت أمة من الأمم السباق في مضمار التنمية البشرية وشحذ طاقة كوادرها للتطوير والإبداع فعليها بشحن عزائم أفرادها نحو الأمانة ، وتفعيلها خُلقاً منتظما وسلوكاً عاما في الأفراد والمؤسسات.

1. 9- **الإصلاح:** تتلخص مهمة تنمية الموارد البشرية في إصلاح الفرد إصلاحا شاملاً بحيث يكون عنصراً فاعلاً عاملاً لخدمة دينه ومجتمعه والبشرية جمعياً ، وقد انتشر مفهوم تنمية الموارد البشرية في كل بلدان العالم ، وتوحدت رؤية الجميع أن غاية ما تسعى له هذه التنمية هو إصلاح الإنسان ، إلا أن مفهوم الإصلاح يختلف من مجتمع إلى مجتمع ومن دولة إلى أخرى ، وإذا كان المقصود لدى الجميع إصلاح مهاراته ومعارفه وإمكاناته ، فإن الإسلام نظر إلى عملية الإصلاح نظرة شاملة إذ يمتد الإصلاح إلى إيمانه وأخلاقه وسلوكه ومعاملاته ، ولذلك كانت رسالات الأنبياء جميعا تقوم على الإصلاح انطلاقا من قوله تعالى على لسان نبيه شعيب عليه السلام ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود:88]

المطلب الثالث: مجالات التنمية البشرية في المنظور الإسلامي

لما كان الإنسان أهم عناصر التنمية البشرية في المنظور الإسلامي فقد جاءت برامج التنمية البشرية للإنسان ، لتطوير ذاته، وسياسة نفسه، وتقويم أخلاقه، وضبط سلوكه، وإشباع روحه ، والارتقاء بعقله، وتنمية كوادره، وصقل مواهبه ، وتهيئته ليكون صالحاً للاستخلافِ، والإفادةِ من كل ما سُخر له من مخلوقات ، ويظهر هذا الاهتمام بالإنسان في عدة مجالات هي:

- **مجالات المحافظة على النفس**

شدد الإسلام على حرمة الدماء قال تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [النساء:30-29]

يقول القرطبي في تفسيره " أجمع أهل التأويل على أن المراد بهذه الآية النهى أن يقتل بعض الناس بعضًا، ثم لفظها يتناول أن يقتل الرجل نفسه بقصد منه للقتل في الحرص على الدنيا وطلب المال بأن يحمل على الغرر المؤدى إلى التلف ويحتمل أن يقال: " ولاتقتلوا أنفسكم في حال ضجر أو غضب ، فهذا كله يتناوله النهى" ، وقال صلى الله عليه وسلم "من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدًا مخلدًا فيها أبدًا ، ومن تحسّى فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا" .

وليست حرمة الدماء قاصرة على المسلم ، لهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا من قتل نفسًا معاهدة له ذمة الله وذمة رسوله ، فقد أخفر بذمة الله، فلا يُرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفًا" .

- **مجال تحقيق الأمن النفسي**

لم يقتصر الإسلام على تحريم القتل، إنما تجاوز ذلك ليُحرم كل ما يؤدي اضطراب وفزع نفسي ، حتى لو كان مزاحاً ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يحلّ لمسلم أن يرّوع مسلمًا" ، ويندرج تحت الترويع المحرم أن يشير امرؤ إلى آخر بالسلاح قال رسول الله صلى الله عليه " لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح ، فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار" ، وقال رسول الله صلى الله عليه : " من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهى ، وإن كان أخاه لأبيه وأمه" .

- **مجال توفير الأمن الغذائي والكسائي**

تهدف التنمية البشرية في الإسلام إلى توفير الأمن الغذائي والكسائي للإنسان، وتوفير حاجاته الضرورية لإنسانيته، حفاظاً لكرامته ، وبناءً لشخصيته، وسعيا لإيجاد الحياة الطيبة الكريمة التي توطد المحبة والاستقرار والتآلف بين أفراد المجتمع.

لذلك حث الإسلام على إطعام الجائع، وجعله وصفاً لعباد الرحمن ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾[الإنسان:8] ، ويصل التحفيز النفسي لإطعام الجائع وسقاية العطشان وتلبية الاحتياجات إلى أعلى درجاته ؛ عندما نقف على الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة– رضي الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إن الله– عز وجل – يقول يوم القيامة : يا ابن آدم ، مرضت فلم تعدني ، قال: يارب ، وكيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ يا ابن آدم ، استطعمتك فلم تطعمني ، قال : يارب، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان ، فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى، يا ابن ادم، استسقيتك ، لم تسقني، قال يارب ، كيف اسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ، أما لو سقيته لوجدت ذلك عندى .

ونفى النبي صلى الله عليه وسلم تمام الإيمان عمن بات شعبانا وجاره حائع ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : "ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه ، وهو يعلم به " .

ذلك لأن الإنسان الذى به عوز إلى الطعام والشراب والكساءأو غيرها من حاجاته الضرورية لا يستطيع أن ينتج ، وينعكس عجزه على بيئته ومجتمعه، فتتأثر التنمية ، وتضطر وتتأخر ، وهذا أمر يغاير تقدم البشرية ويعمل على تخلفها عن مسار التنمية الذي لا يتوقف.

- **مجال المحافظة على سلامة عقل الإنسان.**

نهى الإسلام المسلم عن كل ما يذهب بالعقل أو يتسبب فى تغييب الوعى وفتور البدن ، بما في ذلك الخمور بمسمياتها المختلفة والمخدرات بأنواعها المتعددة.

قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة:90] . ، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال "كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ" " أن رسول الله نهى عن كل مسكر ومفتِّر" ، ومن المعروف أن الإدمان تنعكس آثاره السلبية على الفرد والمجتمع ، والمدمن لا يمكنه أن يشارك في الإنتاج وبرامج التنمية بالشكل المناسب.

- **مجال الحث على طلب العلم والأخذ به**

العلم هو القوة الدافعة لتنفيذ برامج التنمية البشرية، وتوجيه مسارها، وبلا علم لن يكون هناك إدراك لأسس أداء العمل بشكل صحيح، ويتوقف التخطيط، وينعدم التطوير. لذلك عنى الإسلام بالعلم من خلال الدعوة إلى طلب العلم والتماس أي طريق له في عدة نصوص منها: قوله تعالى﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠﴾ [الأنعام:50]، وقوله صلى الله عليه وسلم "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم ، وإن طالب العلم يستغفر له من فى السماء ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياءوإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر" .

- **مجال تغيير سلوكيات الناس وتحويل الأيدي العاطلة إلى أيد عاملة**

أمرنا الله تعالى بالعمل والجد في شئون الحياة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، قال تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ [الملك:15]، وقال سبحانه ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ [التوبة:105]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم" ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده " ، وذكر داود عليه السلام في الحديث دون غيره من الأنبياء مع كونهم جميعاً

كانوا يأكلون من عملهم ؛ إشارة إلى أهمية العمل وأنه لو جاز لأحد ترك العمل لكان داود أولى الناس بذلك، لما آتاه الله من الملك ، فقد كان داود عليه السلام أول من جمع الله له بين الملك والنبوة.

هكذا تتجلى أهمية العمل والسعي في الأرض لطلب الرزق ، مهما صعب طلبه، وزاد على العامل نصبه، ولم يكتف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، بل حرص على تحويل الأيدي العاطلة إلى أيدي منتجة عاملة ، فكان يقول صلى الله عليه وسلم "لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره ، خير من أن يسأل أحدًا ، فيعطيه أو يمنعه" وبين أن مسألة الناس من غير علة موجبة سبب في سقوط لحم وجه السائل يوم القيامة ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تزال المسألة بأحدكم ، حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم" ، بذلك يعالج الإسلام العاطلين ويدفعهم نحو العمل والمثابرة ، وهذا التوجه نحو العمل يحرك التنمية ويغذي سيرها.

المطلب السابع: مجال مكافحة الفقر

ينظر الإسلام إلى الفقر على أنه بلاء يستعاذ منه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه يقول" اللهم أنى أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم" ، وكان يقول صلى الله عليه وسلم " اللهم أنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى"

لذلك أمر الإسلام بالتكافل الاجتماعي والإحسان إلى الفقراء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها ، وتصديق موعدها ، إلا أدخله الله بها الجنة" ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا نساء المسلمات ، لا تحقرن جارة لجارتها ، ولو فرسن شاة" .

وحث رسول الله صلى الله عليه على الصدقة، ودفعها إلى الفقراء والمساكين، لاسيما المتعففين الذين لا يسألون الناس إلحافًا . فقال صلى الله عليه وسلم " ليس المسكين بالذي ترده التمرة والتمرتان ، ولا اللقمة واللقمتان ، إنما المسكين المتعفف، اقرءوا إن شئتم : للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربًا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافًا" .

هذه بعض المجالات التي يراعي فيها الإسلام التنمية البشرية، حتى يتهيأ الإنسان وينتظم مع حركة المجتمع في عمارة الأرض وما يستوجبه ذلك من تنمية بشرية شاملة.

وصل الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد الله رب العالمين.

خاتمة:

الحمدلله رب العالمين ، الذى أعانني على إتمام هذا الجهد المتواضع ، والحمد والشكر له سبحانه ، خير ما يختم به المرء أعماله وبعد؛

فإنه يجدر بالباحث في هذا المحط أن يعرض أهم النتائج التي ضمتها هذه الدراسة:

1) بدأ مفهوم التنيمة في العصر الحديث لعلاج الجوانب الاقتصادية ، ولكن سرعان ما تحول المفهوم من الخصوص الاقتصادي إلى العموم : الاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

2) اتجه مفهوم التنمية إلى الإنسان وحقوقه بعد اعتماد برنامج الأمم المتحدة التنمية في برامجها ، وبذلك تحول المفهوم إلى التنمية البشرية الشاملة.

3) ترتكز التنمية البشرية في الإسلام على التكريم والاستخلاف الذي يوجب على الإنسان عمارة الأرض ، وقد تكونت التنمية البشرية في الإسلام من عناصر ثلاثة : الإنسان، التمكين، البيئة.

4) تختلف التنمية البشرية في الإسلام عن غيرها من نظريات التنمية ؛ أن التنمية في منظور الإسلام لا تقف عند حد الإنسان ، بل تهدف إلى غاية أعلى وهي العبودية ثم عمارة الأرض وإن كان الإنسان يناله من تنميته ما تقر به عينه ، وتستقر به حياته .

5) وردت النصوص الشرعية تؤكد على معاني التنمية فقد جاء في القرآن الكريم ألفاظ تنموية كالتزكية والإعمار والإنشاء .

6) كانت السنة النبوية الشريفة نموذجاً للتنمية البشرية في كل جوابنها ، فقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تنمية الكادر البشري ، ورفع كفاءته، وزيادة فاعليته وإيجابيته.

7) قامت التنمية البشرية في الإسلام على أسس تجعلها متكاملة منها : الاستخلاف، التسخير، المعرفة ، التخطيط ، المسئولية، العمل ، التغيير ، الأمانة ، الإصلاح .

8) اهتم الإسلام بتنمية الكادر البشري من خلال مجالات عديدة منها : المحافظة على النفس ، تحقيق الأمن النفسي ، تحقيق الأمن الغذائي ، حرص الإسلام على سلامة العقل البشري من كل ما يذهبه أو يضعفه ، الحرص على طلب العلم ، تغيير سلوكيات الناس وتحويل الأيدي العاطلة إلى أيدي عاملة منتجة ، محاربة الفقر.

9) إن نجاح برامج التنمية البشرية يعتمد بصورة أساسية على مراعاة القيم الأخلاقية والضوابط الشرعية؛ التي تحدد صور التعامل التنموي بين الإنسان والبيئة التي حوله، وما فيها من موارد ومخلوقات، للإفادة منها في تنمية نفسه، ورقي مجتمعه.

10) إن المقصد العام لرعاية الإنسان والمحافظة عليه في الإسلام هو توفير الحياة الآمنة له، وحماية مصالحه الاقتصادية، وتوفير حاجاته المعيشية وغيرها، وحماية سائر الأحياء والمخلوقات الأخرى المسخرة لخدمة الإنسان، ليتهيأ الإنسان للقيام بواجباته من العبودية وعمارة الأرض لخدمة الإنسانية.

وأخيرًا؛ فإنني أتوجه إلى الله سبحانه بخالص الدعاء أن يوفقنا لتحصيل العلم، وأن يعلمنا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما علمنا ، وأن يزدنا علمًا ، إنه سميع مجيب الدعاء .

المراجع:

إبراهيم إمام : المخدرات أخطر معوقات التنمية، بحث بمجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (السنة الرابعة عشرة – العدد الرابع والخمسون)، ربيع الثاني –جمادى الأولى –جمادى الآخرة 1402هـ

ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، دار الفكر، 1407- 1986 م.

ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

ابن منظور، محمد بم مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.

أبو داود سليمان بن الأشعث : سنن أبي داود، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - مُحَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009 م.

أبو عيسى ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي: سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، 1998 م.

الأمم المتحدة ، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية لعام 1993، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993م.

بن نعوم ، عبداللطيف ، دور الحكم الراشد في تحقيق التنمية الاقتصادية المحلية – دراسة حالة الجزائر، بحث ماجستير كلية العلوم الاقتصادية التجارية وعلوم التسيير – جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، الجزائر، العام 2015-2016م .

الجلال ، عبد العزيز عبد الله، تربية اليسر وتخلف التربية ، مدخل إلى دراسة النظام التربوي في أقطار الجزيزة العربية المنتجة للنفط، عالم المعرفة ، المجلس الوطني الثقافي الكويتي، 1985 م.

جيمس بروس آن، ترجمة- زكى مجيد حسن، فن تحفيز العالمين، بيت الأفكار الدولية- عمان، لسنة (1999م).

خميس، عبد الله، بلادنا والزيت ، النادي الأدبي بالرياض، 1979م.

رياض حمدوش ، (مفهوم التنمية السياسية وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية) ، معهد الميثاق www. Almethag. infolnew slarticle 1696. htm

الشافعي ، محمد بن إدريس ، الرسالة، دار الكتب العلمية، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة

الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي: **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي،مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الثانية.

الطيب بلوصيف ، "الحكم الراشد: المفهوم والمكونات"، مداخلة في ملتقى الديموقراطيات الصاعدة، قسم العلوم السياسية بجامعة ورقلة، مايو 2005 نقلا من منتدى طلبة جامعة خنشلة- جامعة عباس الغرور بتاريخ 14فبراير2015م.

عباس، خالد صالح ، مفهوم التنمية وارتباطه بحقوق الإنسان بين الإثراء الفكري والتحديات، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد 21، العدد 2013/2م.

عبد الرحمن ، أسامة ، البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت 1985

عبد الرحمن ، أسامة ، البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية، مدخل إلى دراسة إدارة التنمية في دول الجزيرة العربية المنتجة للنفط

عبد الكريم بكار: مدخل إلى التنمية المتكاملة – رؤية إسلامية، ط/ 1 دار القلم، دمشق 1999م

عبد الله، عبد الخالق ، العالم المعاصر والصراعات الدولية، سلسلة عالم المعرفة 133، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989

عدلان، عطية ، الأحكام الشرعية للنوازل السياسية، دار اليسر، الطبعة الأولى للهيئة الشرعية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، 1432-2011.

على سلمى ، إدارة الموارد البشرية الإستراتيجية، دار غريب- القاهرة، لسنة (2002).

علي، حيدر إبراهيم ، (إستراتيجية التنمية الريفية في دول الخليج العربي)، حالة دولة الأمارات العربية المتحدة، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 44، جامعة الكويت، 1985م.

العمراني، التطور المفاهيمي للتنمية: من التنمية إلى ما بعد التنمية، عمر، موقع الحوار المتمدن، 2014/12/9م، متوافر بتاريخ: 2018/2/1م، عبر هذا الرابط: https: //goo. gl/6fr7Qv

الفخر الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي ، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ.

القرآن الكريم.

القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكربن فرج الأنصاري الخزرجي، الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الثانية، 1964/1384، دار الكتب العلمية، ت: أحمد الردوني، وإبراهيم أطفيش.

كريم ، الفساد والحكم الصالح في البلدان العربية، حسن، الفساد والحكم الصالح في البلدان العربية، مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع المعد السويدي بالأسكندرية.

محمد ، غربي ، الديمقراطية والحكم الراشد رهانات المشاركة السياسية وتحقيق التنمية ، جامعة حسيبة بن بو علي، الشلف الجزائر ، 2011.

محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، 1422هـ.

مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت261هـ) صحيح مسلم تحقيق – محمد فؤاد عبد الباقي، دار أحياء التراث العربي– بيروت د. ت .